

من مظاهر السرقة العلمية في العهد العثماني: دراسة مقارنة لمخطوطتي (إصلاح الأسفار عن وجوه بعض مخدّرات الدر المختار)، و(حلّ الذهب الإبريز في بيان لغز الدر الوجيز)

**One of manifestations of scientific theft in the Ottoman era:
A comparative study for two manuscripts (Islah Al-Asfar ean Wujuh
baed Mukhadirat Al-dur Al-Mukhtar) and (Hal Al-dhahab Al-Ibriz fi
Bayan Lughz Al-dur Al-Wajiz)**

د. إسماعيل زيان

باحث أكاديمي (الجزائر)، ziane_ismail2005@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/07/27 تاريخ القبول: 2022/12/11 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

تسلّط هذه الورقة الضوء على أحد مظاهر السرقة العلمية في العهد العثماني، ويتعلّق الأمر برسالة في حلّ لغز فقهي ذُكر في أحد كتب الأحناف، وقد ادّعى تأليف هذه الرسالة شيخان عاشا في نفس العصر، الأول هو الشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي والد المؤرّخ عبد الرحمن الجبرتي، والثاني هو الشيخ علي ابن محمد الجزائري الحنفي المعروف بابن الترجمان. وقد بلغ الحدّ بالرسالتين إلى التطابق التام في الكلام كتابة ومعنى، وعدم وجود أيّ اختلاف إلّا في مقدمتي الرسالتين، التي بالطبع تمثّل ديباجة لكلّ مؤلّف. لذا فإنّ دراسة هاتين الرسالتين تمثّل دراسة لعملية سرقة علمية كاملة، حيث لم يبذل الساطي أيّ جهد في تغيير العبارات مع مراعاة المعنى، بل على العكس من ذلك، سطى على الرسالة بأكملها، مع إضافة مقدّمة توحى بأنّها من بنات أفكاره.

كلمات مفتاحية: السرقة العلمية، العهد العثماني، علي بن محمد الجزائري، حسن بن إبراهيم الجبرتي، القرن 12 هجري، لغز فقهي.

Abstract:

This paper is a highlight of one of scientific theft in the Ottoman era, and it is related to a letter in solving a puzzle in Fiqh mentioned in one of the Hanafi books, and two Sheiks was claimed to have authored this letter, and two Sheiks lived in the same era. The first is Sheik Hassan ben Ibrahim Al-jabarti, father of the historian Abdul-Rahman Al-jabarti, and the second is Sheik Ali ben Mohammed Al-Jaza'ri, known as Ibn Al-Turjuman, and the two letters reached in limit of complete congruence in meaning and writing, and that there was no difference except in the two introductions, which represent a preamble for each author.

Therefore, the study of these two letters represents a study of a complete process of scientific theft, where the thief didn't make any effort to change the phrases while preserving the meaning, but on the contrary, he robbed the letter, and replaced only a small thing in the introduction.

Keywords: Scientific theft; Ottoman era; Ali ben Mohammed Al-Jaza'ri; Hassan ben Ibrahim Al-jabarti; Century12 hijri; Puzzle in Fiqh.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لقد عُرفت السرقات الأدبية قديما وحديثا، خاصة في الشعر، وأُلْفِتْ في ذلك كتب كثيرة لتبيين تلك السرقات¹، وانتقل ذلك إلى النشر، خاصة مع كثرة المؤلفات، واختلف العلماء في مسألة النقل من دون عزو للأصول المنقولة منها، فبعضهم جَوَّز النقل في كتب التاريخ والسير والفقهاء، ولم يعتبروا عدم العزو جريمة أو سرقة، ومنهم من منع ذلك، وقال: لا بدّ من عزو القائل إلى قائله، وهذا الذي عليه السلف من العلماء².

¹ _منها: «الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى» للعميدي، و«الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره» لابن المظفر، وكتاب «سرقات البحري عن أبي تمام» لأبي تمام القيني، وغيرهم.

² _حسين الشهراني، 2004م، ص 128.

وقد ذكر ابن النديم في كتابه (الفهرست) بعض النماذج من السرقات العلمية التي حدثت في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، واستعمل عدّة كلمات للدلالة على السرقة مثل: انتحله، وأدّعه، وسلّحه، وذكر بعض المؤلّفين الذين اتّهموا بالسرقة كأبي معشر البلخي، وأبي العنبر محمد بن إسحاق الكوفي الصيمري، ومحمد بن زكريا الرازي، ومحمد بن يحيى الصولي، وأحمد بن محمد بن الفقيه الهمداني¹.

ويبدو أنّ مثل هذا النوع من السرقات العلمية كان مستهجنًا من طرف العلماء، فقد شنع ابن خلدون في (مقدمته) على منتحلي المؤلّفات، بعد أن ذكر مقاصد التأليف، فقال: «فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها. وما سوى ذلك ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادة التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء، مثل انتحال ما تقدم لغيره من التأليف أن ينسبه إلى نفسه ببعض تلبيس، من تبديل الألفاظ وتقديم المتأخر وعكسه، أو يحذف ما يحتاج إليه في الفن، أو يأتي بما لا يحتاج إليه، أو يبدل الصواب بالخطأ، أو يأتي بما لا فائدة فيه»²، بل إنّ انتحال الكتب، وأدّعاء السارق نسبتها - كما قال الأستاذ حسين الشهراني - وأنّها من نتاج عقله، وأبكار فكره، بالإضافة إلى أنّه محرّم شرعاً، فهو ممّا تنكره العقول السليمة، وتأباه الطبائع النبيلة³.

ولعلّ السارق لا يدرك حقيقة التأليف، فهو لا يحسّ بتدفق تلك المعاني والأفكار من عقل ووجدان المؤلّف، التي تنقلها الأعصاب إلى الأنامل لترجمها على الأوراق، أو تنقلها إلى اللسان الذي لا يستطيع كتمها من فرط قوّتها، فتخرج على شكل كلام يملأ على مسامع الحاضرين، ولعلّ كلّ تلك الحركة النفسية والعضوية التي لا يحسّها السارق هي بحدّ ذاتها خسارة كبيرة له، لأنّ السارق قد عطّلها، وجعل نفسه أداة للنسخ فقط.

ومن بين العلماء الذين عانوا من السرقات العلمية، كان الشيخ جلال الدين السيوطي، الذي ألّف رسالة سمّاها (الفارق بين المصنّف والسارق) يشكو فيها من سرقة بعض مؤلّفاته التي قضى سنوات في جمع

¹ - تتبّع الأستاذ عبد الحكيم الأنيس أولئك الشيوخ الذين ذكرهم ابن ندیم في (الفهرست)، وأوردتهم في مقدّمة تحقيقه لرسالة (البارق في قطع السارق) للسيوطي (ينظر: جلال الدين السيوطي، 2012م، ص 20-21).

² - ابن خلدون، 1988م، 1/732-733.

³ - حسين الشهراني، المرجع نفسه، ص 142.

مادتها، فيقول في مقدّمة الرسالة متحدّثاً عن سارقه: «فما كان من هذا العدم الذوق إلّا أنّه نبذ الأمانة وراء ظهره وخان، وجنى ثمار غروسنا وهو فيما جناه جان، وافتضّ أبكار عرائسنا اللائي لم يطمثن في هذا العصر إنس قبلنا ولا جان، وأغار على عدّة كتب لنا أقمنا في جمعها سنين، وتبعنا الأصول القديمة وما أنا على ذلك بضنين، وعمد إلى كتابيّ (المعجزات) و(الخصائص) المطول والمختصر، فسرق جميع ما فيها بعبارتي، وقال تتبعثُ وجمعتُ ووقع لي..»¹.

ولعلّ أنّ السرقات الأدبية أو العلمية عند المتقدّمين كانت قليلة مقارنة بالعصور المتأخّرة كالعهد العثماني مثلاً، الذي كثرت فيه الكتب والمتون، ثم الشروح على المتون، ثم الحواشي على الشروح، وباختلاف المذاهب والفنون تشعّبت التأليف، وأصبحت معرفة السارق مسألة صعبة جدّاً في ظل هذا الازدياد.

ولأجل هذا، فإنّني في هذه الورقة سوف أقدم أحد نماذج السرقة العلمية التي حدثت في العهد العثماني، وبالتحديد في القرن الثاني عشر هجري، ترجمته رسالتان توأمان، لكن من رحمين مختلفتين، الأولى موسومة ب: «إصلاح الأسفار عن وجوه بعض مخدّرات الدرّ المختار» للشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي، والثانية موسومة ب: «حلّ الذهب الإبريز في بيان لغز الدرّ الوجيز» للشيخ علي بن محمد الجزائري الحنفي، وقد بلغ الحدّ بالرسالتين إلى التطابق التام في الكلام كتابة ومعنى، ولم يوجد أيّ اختلاف إلّا اختلاف بسيط في مقدمتي الرسالتين، ممّا لا يدع مجالاً للشكّ بأنّ أحدهما سطا على الآخر، أو أنّهما شربا من معين واحد.

والحقيقة، أنّي اكتشفتُ هذا الشيء عن طريق المصادفة، فقد كنتُ أدرس رسالة الشيخ علي بن محمد الجزائري دراسة تاريخية، من خلال ما ذكره من الشيوخ الذين درس على يدهم في الجزائر في العهد العثماني، وحاولتُ أن أجد بعض الرسائل التي ألفها، أو بعض النسخ من هذه الرسالة، فوجدتُ بعض النسخ منها، لكن باسم مؤلّف آخر وهو حسن بن إبراهيم الجبرتي، فرأيتُ أن أجري تحقيقاً حول هذا الأمر، لذا قمتُ بدراسة مقارنة وتحليلية لنسخ الرسالتين، واضعاً بعض الإشكالات منها:

¹ _جلال الدين السيوطي، 1998م، ص 33.

- ما المقصود بالسرقة العلمية؟
- ما هي القيمة العلمية للشيخين حسن بن إبراهيم الجبرتي وعلي بن محمد الجزائري؟
- ما هي الأدلة على وجود سرقة محتوى الرسالة؟
- ما هي الآليات التي تساعد على تحديد المؤلف الأصلي للرسالة؟

2. السرقة العلمية

1.2 تعريف السرقة لغة واصطلاحاً:

(سَرَقَ) لغةً: السين والراء والقاف، أصلٌ يدل على أخذ شيء في خفاء وستر. يقال: سَرَقَ يَسْرِقُ سرقةً. والمسرّوق: سَرَقَ. واسترق السمع: إذا تسمّع مختفياً¹.
أمّا اصطلاحاً، فقد عرّفها ابن عرفة بما يلي: أَخَذُ مُكَلَّفٍ حُرّاً لَا يَعْقِلُ لِصَعْرِهِ، أَوْ مَالاً مُحْتَرَمًا لِغَيْرِهِ نَصَابًا أَخْرَجَهُ مِنْ حِرْزِهِ بِقَصْدٍ وَاحِدٍ خُفْيَةً لَا شُبْهَةَ لَهُ فِيهِ².

2.2 السرقة العلمية عند المتقدمين والمعاصرين:

قسّم ابن الأثير سرقة المؤلف إلى ثلاثة أقسام: الأول: النَّسْخُ، وهو ذكر المعنى بلفظه من غير تغيير له. الثاني: السَّلْخُ، وهو تغيير اللفظ وإخراجه في معرض جميل وهيئة حسنة. الثالث: المَسْخُ، وهو تغيير اللفظ وإخراجه في معرض رديء وهيئة قبيحة³.

أمّا السيوطي فوضع تقسيماً آخر، حيث قال إنّ السَّرَاقَ ثلاثة أصناف: سَرَّاق الحديث، وسَرَّاق التصانيف، وسَرَّاق الشعر⁴، وهذا التقسيم باعتبار المسروق، ويدخل ضمنه التقسيم الذي ذكره ابن الأثير. إذن، فالسرقة العلمية عند المتقدمين لم تخرج عن هذه الأقسام، أمّا المعاصرون فيعرفون السرقة العلمية بأنها إعادة عمل الآخرين دون إشارة للأصل، أي إعادة مصطلحات أو أفكار الآخرين، والسطو

¹ - ابن فارس، 1979م، 154/3.

² - الرصاع التونسي، 1350هـ، ص 503-504.

³ - ابن الأثير الكاتب، 1375هـ، ص 242-243.

⁴ - جلال الدين السيوطي، 2012م، ص 47-57.

على مجهوداتهم واستغلال إنتاجهم الفكري دون إشارة إلى صاحبها الأصلي¹، وقد شرح الباحثون بعض صور السرقة كالاقتباس والاستبدال وسرقة الأفكار، وغير ذلك من الصور.

3. دراسة الرسائل

1.3 التعريف بالمؤلفين:

ترجمة الشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي²:

هو حسن بن برهان الدين إبراهيم بن حسن بن علي بن محمد بن عبد الرحمن، الزيعلي، العقيلي، المصري، الحنفي، الجبرتي. ولد بمصر سنة 1110هـ، تربى يتيماً في حجر أمه وجدته لأمه. اشتهر الجبرتي بدراسة لعلم الفلك والهندسة، واشتغل بحفظ بعض المتون، ودرس على بعض الشيوخ بمصر كابن الشرنبلالي، وأجازه، وأخذ على الشيخ علي السيواسي الضرير، والشيخ أحمد التونسي الحنفي، والشيخ علي العقدي، والشيخ عبد الرؤوف البشبيشي، وغيرهم.

توفي الشيخ حسن الجبرتي سنة 1188هـ، مخلفاً بعض الرسائل التي كان أغلبها يدور حول علوم الفلك والحساب، وشيء من الفقه، ومنها: «نزهة العينين في زكاة المعدنين»، و«رفع الإشكال بظهور العشر في العشر في غالب الأشكال»، و«الأقوال المعربة عن أحوال الأشربة»، و«كشف اللثام عن وجوه مخدرات النصف الأول من ذوى الأرحام»، و«الوشي المجمل في النسب المجمل»، و«القول الصائب في الحكم على الغائب»، و«بلوغ الآمال في كيفية الاستقبال»، و«الجداول البهية برياض الخرجية»، في علم العروض، و«إصلاح الأسفار عن وجوه بعض مخدرات الدر المختار»، و«مأخذ الضبط في اعتراض الشرط على الشرط»، و«النسمات الفيحية على الرسالة الفتحية»، وغير ذلك من الرسائل.

¹ - بوشيش عبد الرحمن، 2020م، ص 323.

² - ترجم له ابنه المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي بترجمة طويلة في كتابه «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار» (ينظر: عبد الرحمن الجبرتي، بدون تاريخ، 440/1-466).

ترجمة الشيخ علي بن محمد الجزائري:

لم يترجم للشيخ علي بن محمد أحد سوى صاحبه الشيخ محمد مرتضى الزبيدي، ونقل عنه فيما بعد عبد الرحمن الجبرتي تلك الترجمة بحروفها في «تاريخه»¹، حيث قال الزبيدي فيها: «صاحبنا، الشيخ، الرحلة، أحد أذكى العصر، ونجباء الدهر، من جمع متفرقات الفضائل، وحاز أنواع الفواضل. ولد بالجزائر سنة 1130هـ، وكان ينتمي إلى الشرف، وزاحم العلماء بمناكبه في تحصيل أنواع العلوم، وأجازه شيخنا سيدي محمد المنور التلمساني -رحمه الله- كما رأيته عنده بخط يده، ودخل الروم مرارا، وحظي بأرباب الدولة، وأتى إلى مصر وابتنى بها دارا حسنة قرب الأزهر...»².

ثم قال الزبيدي إنّه كان يتبادل معه الزيارات، وكان يذكره في العلوم، فيجده كاملا راسخا فيها، ولم يكن الشيخ علي بن محمد -فيما يبدو- مولعا بعقد المجالس أو التأليف، بل كانت جلّ أوقاته في السفر والترحال، أو بصحبة أعيان الدولة العثمانية كالأمير أحمد آغا باشا، الذي كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا³.

ويتحدّث الزبيدي عن وفاته فيقول إنّ لسانه هو الذي جلب عليه المصائب، حيث كانت الدولة العثمانية في حالة حرب، فذهب الشيخ علي بن محمد إلى السلطان مصطفى خان، وقدم له رسالة صورتها أنّ من قرأ استغاثة أبي مدين الغوث في صفّ الجهاد حصلت له النصر، فما كان من السلطان مصطفى إلّا أن أرسل الشيخ علي بن محمد بنفسه إلى ساحة القتال، ليتبرّك بهذه الاستغاثة، فتفاجأ الشيخ علي بن محمد من الأمر، وأخذ في الحال، وتوجّه رغما عن أنفه، وصار يقرأ في معسكر الجهاد، لكنّ المسلمين هزموا لسوء تدبير العسكر، فأسر الشيخ علي بن محمد مع الأسرى، ودُهب به إلى بلاد الروس، ولم يغثه أحد إلى أن توفّي هناك سنة 1185هـ⁴.

تلك كانت حياته خارج مصر، أمّا عن حياته في الجزائر، فقد ذكرها الشيخ علي بن محمد بنفسه في رسالته المدروسة حيث قال: «والحاصل، أنّي قبل ذهابي إلى مصر، أخذت عن علماء الجزائر، ذات

¹ _المرجع نفسه، 413/1.

² _محمد مرتضى الزبيدي، 2006م، ص 567.

³ _المرجع نفسه، ص: 568.

⁴ _المرجع نفسه.

الفخر والبشائر، منهم سيدي عمّار، رئيس العلماء والافتخار، وأجلاء لا تحصر، وأئمة في غير هذه البسيطة لا تبصر، وأناخت لنا الخضراء بنحرير الزمان، وفريد علماء العصر والمكان، الوحيد الأكرم، سيدي أحمد الأصرم، أخذت عنه الأدب من النثر وبديع النظام، وصوغ قلائد الكلام، والشيخ الكامل ابن ميمون، والقطب الرياني سيدي الجيلاني، ومن الحنفية ما لا يحصى، ولا ينتهي بالعدّ ويستقصى، منهم الشيخ الآخذ بزمام حسابي، سيدي حسين العنّابي، شيخي وأفضل من أنا استشيختهم من ذي الجزائر، سل به تجد الخير»¹.

علاقة الشيخين الجبرتي والجزائري:

كان الشيخان علي بن محمد الجزائري وحسن بن إبراهيم الجبرتي رجلين متعاصرين ونازليين بمصر، فأخذا على نفس الشيوخ، ومن جملة أولئك، الشيخ إبراهيم الحلبي صاحب الحاشية على «الدر المختار»²، وقد ذكره الشيخ علي بن محمد في رسالته المدروسة، وذكر أنّه اجتمع به سنة 1155هـ بمصر وأخذ عنه، وترك الآخذين عنه، ودرس عليه كتاب «الدر المختار»، ولازمه سنين عدّة³.

وبالرجوع إلى ما ذكره الزبيدي في «معجمه»، نجد أنّه قال إنّهُ اجتمع بالشيخ علي بن محمد عدّة مرات في مصر، وكانا يتبادلان الزيارة، وإذا علمنا أنّ الزبيدي دخل مصر سنة 1167هـ⁴، يترجّح لنا أنّ الشيخ علي بن محمد الجزائري كان متوطّناً بالديار المصرية في ذلك الوقت، ويبدو أنّ الشيخ علي بن محمد الجزائري وقع في خلافات مع بعض علماء مصر، لدرجة أنّ بعضهم فرّق بينه وبين شيخه إبراهيم الحلبي⁵.

الغريب أنّ الشيخ مرتضى الزبيدي لم يفرد ترجمة للشيخ حسن الجبرتي، على عكس الشيخ علي بن محمد الجزائري الذي أفرد له الترجمة التي ذكرتها سابقاً، وهذا ما جعل المؤرّخ عبد الرحمن الجبرتي يشنّع على

¹ _علي بن محمد، حلّ الذهب الإبريز بحل لغز الدر الوجيز، مخطوط، قطعة رقم 2 و3.

² _علي بن محمد، نفسه، قطعة رقم 2، وعبد الرحمن الجبرتي، المرجع نفسه، 457/1.

³ _علي بن محمد، نفسه، قطعة رقم 2، وقد أسقط الناسخ لفظة (مئة) في التاريخ فكتبه: سنة خمس وخمسين وألف (1055هـ).

⁴ _عبد الحي الكتاني، 1982م، 527/1.

⁵ _علي بن محمد، المرجع نفسه، قطعة رقم 2.

الشيخ الزبيدي ويّتهمه بإهمال ذكر بعض الشيوخ¹، ومن جملتهم والده الشيخ حسن الجبرتي، مع أنّ الجبرتي أخذ مادة كتاب «معجم» الزبيدي وضمّنها في كتابه، بل وتابع الزبيدي في أخطائه ولم يصحّحها².

ويبدو أنّ عزوف الشيخ مرتضى الزبيدي عن أفراد ترجمة للشيخ حسن بن إبراهيم كان بسبب قلّة البضاعة العلمية للشيخ حسن بن إبراهيم، فالرجل لم يكن له اعتناء بالتأليف إلّا في بعض الرسائل القصيرة³، بل كان اشتغاله بجمع الكتب كما قال ابنه عبد الرحمن الجبرتي، أو تجويد الخطّ العربي خاصة خطّ الثلث⁴، أو اشتغاله بالعلوم التطبيقية كالرياضيات وعلوم الفلك⁵.

وبالمقابل، فقد ترجم الزبيدي للشيخ علي بن محمد، وهذا فيه دلالة واضحة على سعة علمه وبضاعته التي امتدحها الشيخ مرتضى الزبيدي بنفسه، وقال عنه أنّه أحد أذكى العصر، ونجباء الدهر، وهذا الكلام الذي صدر من الزبيدي ليس من قبيل التملّق، بل ذلك هو الواقع الذي رآه وعاينه بنفسه. أمّا في الجزائر، فقد جالس الشيخ علي بن محمد السيّد محمد خوجة دفتدار الإمارة، والشيخ أحمد الأصرم الذي كان رئيس كتاب ديوان الإنشاء بتونس، وأجازه الشيخ محمد بن عبد الله المنور التلمساني (ت 1173هـ) نزيل مصر⁶.

لكن يبدو أنّ الذي ذكره الزبيدي عن اتّصال الشيخ علي بن محمد بأرباب الدولة، ودخوله إلى الروم مرارا، ومنادمته لأحمد آغا، صاحب دار الضرب في مصر، كلّ ذلك جعله يصرف النظر عن التأليف والقعود للتدريس، وهذا ما جعله من المغمورين في كتب التراجم، لأنّ معظم جلسائه كانوا من أرباب

¹ _عبد الحي الكتاني، المرجع نفسه، 623/2.

² _المرجع نفسه.

³ _عبد الرحمن الجبرتي، المرجع نفسه، 462/1.

⁴ _المرجع نفسه، 452/1.

⁵ _المرجع نفسه.

⁶ _هو محمد بن عبد الله بن أيوب، المعروف بالمنور، التلمساني دفين مصر. أخذ عن علماء المغرب من أمثال أحمد بن مبارك اللطفي، اللطفي، وأبي عبد الله المسناوي، وابن زكري الفاسي، وغيرهم. وأخذ على بعض مشايخ مصر كالشيخ علي بن أمين بن أحمد الأزهرى. أخذ عنه مرتضى الزبيدي وقال إنّ العالم الفاقد للأشياء وعالم قطر المغرب الميمون، وأخذ عنه أحمد بن عمار الجزائري وأحمد بن سعيد الزواوي. توفّي بمصر سنة 1173هـ بعدما جاء من الحجّ. (ينظر: عبد الحي الكتاني، المرجع نفسه 121، 2/ 570 و1001، أبو القاسم سعد الله، 2007م، 51/2).

الدولة، ولا ينتظر من تلك المجالس أن تكون مكانا لمدرسة العلم، بل أكثرها يكون للشعر والإلغاز والقصّ، وغير ذلك من المستملحات.

2.3 الكلام على الرسالتين:

موضوع الرسالتين هو عبارة عن حلّ للغز وضعه الشيخ علاء الحصكفي (ت1088هـ) صاحب كتاب «الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار» في واجبات الصلاة، حيث قال: «قلت: فبلغت أصولها نيفا وأربعين، وبالبسط أكثر من مائة ألف، إذ أحدها ينتج 390 من ضرب خمسة قعدة المغرب بتشهدها وترك نقص منه أو زيادة فيه أو عليه في 78 كما مر، التبع ينفي الحصر فتبصر، فيلغز أي واجب يستوجب 390 واجبا»¹. إذن، فموضوع الرسالتين كان معرفة كلّ الواجبات التي يبلغ عددها 390 واجبا، ليحصل بذلك واجب الصلاة كلّها.

الرسالة الأولى: إصلاح الأسفار عن وجوه بعض مخدّرات الدرّ المختار:

الرسالة من تأليف الشيخ حسن بن عبد الرحمن الجبرتي، والد المؤرّخ الجبرتي صاحب كتاب «تاريخ عجائب الأنظار»، وقد كثرت نسخها في المكتبات منها:

- ❖ ثلاث نسخ بالمكتبة القادرية بالعراق، إحداها نسخت سنة 1178هـ.
- ❖ نسخة بمكتبة تيمور بمصر، في قسم الفقه تحت رقم: 702، وهي نسخة مبتورة.
- ❖ نسخة بالمكتبة الظاهرية بسوريا تحت رقم: 2682، بدون سنة التأليف أو النسخ.
- ❖ نسخة بمكتبة في فلسطين ضمن مجموع، منسوخة سنة 1178هـ².
- ❖ نسخة بمكتبة برنستون الأمريكية تحت رقم 960 h ، وهي أهمّ النسخ لأنّها تشتمل على مسوّد المؤلف الأصلية، وعليها تملكه وختمه، نسخت سنة 1177هـ، وبعدها نسخة للبيضة بيد تلميذه نسخت سنة 1179هـ.

¹ _علاء الدين الحصكفي، 2002م، ص 65.

² _أسعد أطلّس، 1946م، ص 57.

وقد حَقَّق هذه الرسالة الدكتور محمد علي حسين بطي من الجامعة العراقية، سنة 2017م¹، بالرجوع إلى نسخ المكتبة القادرية بالعراق فقط، لكنّه وقع في خطأين:

الأوّل: قوله إنّ المؤلّف فرغ من نسخها سنة 1138هـ، بالرغم من أنّ سنة التأليف في النسخة كانت واضحة، وهي سنة 1178هـ.

الثاني: قوله إنّ النسخة بخطّ يد المؤلّف، مع أنّ الناسخ ذكر أنّه نسخها سنة 1182هـ.

الرسالة الثانية: حلّ الذهب الإبريز في بيان لغز الدر الوحيز

الرسالة من تأليف الشيخ علي بن محمد الحنفي الجزائري، المعروف بابن الترجمان، وهي نسخة يتيمة، لم تكتب بخطّ المؤلّف، ولا يوجد عليها تاريخ التأليف ولا تاريخ النسخ، إلّا أنّ الأكيد أنّها ألّفت بعد سنة 1155هـ، وهي محفوظة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، تحت رقم: 2233، مكتوبة بخطّ مغربي، وتقع في 6 ورقات، وفيها بعض السقط.

صاحب الرسالة الأصلي:

إنّ البحث عن صاحب الرسالة الأصلي، ومعرفة المنتحل، شيء صعب جدّاً، فإذا عملنا بمنطق العدد، نجد أنّ نُسخ رسالة الشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي هي النسخ الكثيرة، بخلاف نسخ رسالة الشيخ علي بن محمد الجزائري التي هي مجرّد رسالة واحدة فقط، والتي كان ناسخها -فيما يبدو- حائراً، ولا يعلم حقيقة من استنبط حلّ اللغز، في إشارة إلى اطلاعه -والله أعلم- على رسالة الشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي، حيث كتب في قيد الفراغ: «هذا ما وُجِدَ مقيداً لحلّ هذا اللغز، والله أعلم بحقيقة من استنبطه، فجازاه الله أحسن جزائه بجاه النبي وآله».

لكن لا يجب أن يكون المنطق المتّبع هو منطق الكمّ، بل بالبحث والتقصّي والمقارنة، وغير ذلك من وسائل الثبّت، ومن هنا بدأ العمل بجمع نسخ رسالة الشيخ حسن الجبرتي، ومقارنتها برسالة الشيخ محمد بن علي، وتبسيط الضوء على الفروق التي من شأنها إعطاء صورة جليّة وواضحة عن صاحب الرسالة الأصلي. وللتحقّق من صاحب الرسالة وجب:

¹ - محمد علي حسين بطي، 2017م، ص 349-378.

أولاً: معرفة زمن التأليف لكل مؤلف

إنّ جلّ نسخ رسالة الشيخ حسن الجبرتي تذكر أنّه ألفها سنة 1178هـ، ما عدا نسخة - برنستون- التي جاء فيها أنّ الشيخ ألفها سنة 1177هـ. أمّا نسخة الشيخ علي بن محمد فلم يذكر فيها متى ألفها، لكنّه ذكر أنّه ألفها بعد سنة 1155هـ، سنة نزوله بالديار المصرية.

ثانياً: سبب التأليف

وهذا هو لبّ الموضوع وأساسه، فبالنسبة للشيخ علي بن محمد، فقد ألفها عدّة مرات، ولأسباب كثيرة، حيث كانت إحداها عبارة عن مدارس حدثت بينه وبين محمد خوجة دفتر دار الإمارة حول كتاب «الدر المختار»، فلمّا وصلا إلى محلّ اللغز، اعتاص فهم اللغز على السيّد محمد خوجة، فاستجمع الشيخ علي بن محمد عقله، وكتب رسالة في حلّ لهذا اللغز بقدر ما فهمه، فانتشرت الرسالة على حدّ قوله¹. أمّا المرّة الأخرى فكانت عند تحريره للرسالة التي وسمها بـ«حلّ الذهب الإبريز في بيان لغز الدر الوجيز»². أمّا بالنسبة للشيخ حسن الجبرتي فلم يذكر سببا لتأليف الرسالة، بل قال إنّّه ورد عليه سؤال بذلك فقط.

إلى هنا ما يزال الأمر غامضاً، فلا وجود لأيّ علاقة بين الأسباب التي دعت كلا الرجلين إلى التأليف، لكن بقراءة نسخة مكتبة (برنستون) الأمريكية، التي تمثّل مسوّد الشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي المكتوبة بخطّ يده، والمختومة بختمه، نجد أنّه شطب بيده على عدّة فقرات، وتلك الفقرات لا نجدّها في كلّ النسخ الأخرى المتوفرة، وأهمّ فقرة قام بشطبها هي: «وورد السؤال عن ذلك، من حضرة من أعاد لروضة الفضل ماءها، ولدوحة العلم نماءها، وشيّد بنيان الدروس بعد أن داسه، وأقام أعمدته مع إتقان أساسه، الملك العادل، والحاكم الفاضل، ذي السجاي العلية، والمزايا المرضية، الحائز للحكمتين العلمية والعملية، والطائر بالرياستين الدنيوية والدنيوية، السيّد المالك للقلوب والأجسام من الرعيّة، سيما بممالك أرض

¹ - علي بن محمد، المرجع نفسه، قطعة رقم 2.

² - المرجع نفسه، قطعة رقم 3.

إفريقية، أعني به مولانا أبا الحسن علي باشا، بلغه الله من مأمول ما شاء، وخلّد ملكه وسلطانه، وأدام على العالمين برّه وإحسانه، ونصره نصراً مؤزّراً، بجاه سيّدنا محمد p أفضل الوري¹.

إذن، فالرسالة كانت جواباً على سؤال من أبي الحسن علي باشا باي تونس، لكنّ الشيخ حسن الجبرتي شطب على كلّ ذلك بيده، ووضع في مكانه هذه الجملة: «وحيث ورد السؤال عن ذلك، وضعت هذه الرسالة مطابقة لمقتضى الحال».

وبقراءة أخرى لمقدمة رسالة الشيخ علي بن محمد، نجد أنّها كُتبت بنفس أسلوب الفقرة المشطوبة حيث جاء فيها: «الحمد لله الواجب الوجود، المفيض على خلقه مواهب الإحسان والجود، والصلاة والسلام على أفضل رسل السلام، سيّدنا محمد مظهر خفايا الرموز، ومستخرج خبايا الكنوز، وعلى آله الدر المختار، وصحبه جلا البصائر وتنوير الأبصار. وبعد، إلّا كنتُ تذاكرتُ مع الحبر النحرير، المصهر لكل معنى عسير، نخبة الزمان، وفريد العصر والمكان، الرتبة الشاخصة، والمنقبة العالية الناصحة، سيّد أقرانه، وكوكب أهل زمانه، السيّد محمد خوجة دفتر دار الإمارة، السّابق في مضمار البحث الغميص والإشارة، مجمع أزمنة المعارف، وكنز دقائق اللطائف، كنتُ اجتمع² به مراراً، واقتطعتُ من ينابيع فضله ثماراً، شاهدتُ زواجر الفخر تتناثر من شمائله، وجواهر المجد تتفاخر بالاندراج في سلك فضائله، طالما شاركته في مطالعة كتب جمّة، وطارحته في مباحث مهمّة»³.

وهنا يرد إشكال وهو: لماذا شطب الشيخ حسن الجبرتي على تلك الفقرة، مع أنّه ألفها سنة

1177هـ، أي زمن حكم علي باي؟

جواب هذا السؤال في ترجمة علي باشا باي، فهو أبو الحسن علي بن الحسين باي، المولود سنة

1124هـ، وابن باي تونس آنذاك. نشأ وتربّى على يد والده، ودرس على يد الشيخ الحاج يوسف برتقيز،

وكان يميل إلى العلوم الدينية، خاصة علم الحديث. ولمّا توفّي والده، سطا ابن عمّه على ملك والده،

فخرج مع أخيه الكبير محمد الرشيد وأخيهما الثالث محمود، فازّين إلى الجزائر سنة 1153هـ، ومكتنوا

¹ _نسخة برنستون، قطعة رقم 2.

² _في الأصل: أجمعت.

³ _علي بن محمد، المرجع نفسه، قطعة رقم 2.

بالجزائر سنوات عدّة، إلى أن جهّزهم حاكم الجزائر بجيش، واستطاعوا استرجاع ملك أبيهم، وكان ذلك سنة 1169هـ¹.

عند ذلك أصبح أخوه محمد الرشيد بايّا على تونس، وبقي في الحكم إلى توفّي سنة 1172هـ، فاعتلى أخوه أبو الحسن علي باشا سدة الحكم، فكان رجلا عادلا، عالما، اصطفى لمجلسه العلماء، ولازم بحضرتهم رواية صحيح البخاري بنفسه. مكث أبو الحسن في الحكم مدّة 19 سنة، فلمّا شاخ تنازل عن الحكم لولده حمودة باشا، وكان ذلك سنة 1191هـ، ووافته المنية سنة 1196هـ².

وبالرجوع إلى رسالة الشيخ علي بن محمد الجزائري، نجد أنّه ذكر شيئا مهمّا، وهو أنّه درس على أحد علماء تونس -وهو الشيخ محمد الأصرم- وأخذ على يده الأدب من نثر ونظم، وكان ذلك عند نزوله بالجزائر³، وهذا الشيخ -أي أحمد الأصرم- كان قد صحب «الأمير محمد باي أيام مقامه ببلدته عند تأجّج نار الفتنة الشهيرة، وذهب معه إلى الجزائر وأقام بها، وتصدّر للإشهاد، وقضى هناك أيّاما بالنيابة»⁴. إذن، فالشيخ علي بن محمد الجزائري كان من ملازمي الشيخ أحمد الأصرم الذي كان من جملة الهاربين مع محمد باي وعلي باي، ولهذا فيبدو أنّ الشيخ محمد بن علي قد جالس علي باي وأخاه محمد باي في الجزائر، وتذاكر معهما بعض العلوم بحضرة العلماء، ويبدو أنّ ذلك الاجتماع كان بين سنتي 1153هـ و1155هـ، وهي السنة التي انتقل فيها إلى مصر على حدّ قوله⁵.

ولهذا فيبدو أنّ قائل تلك الفقرة المشطوبة هو الشيخ علي بن محمد، وليس الشيخ حسن الجبرتي، الذي لم يُذكر في ترجمته أنّه زار تونس أو الجزائر، كي نقول إنّّه اجتمع بعلي باي باشا، ويبدو أنّ الشيخ حسن الجبرتي شطبها كي لا يُكتشف أمره، فجعل الرسالة وكأنّها جواب على سؤال من مجهول، ويعضد هذا ما قاله ابنه عبد الرحمن الجبرتي في «تاريخه» حيث قال إنّ والده الشيخ حسن اقتنى أيضا كتباً نفيسة

¹ _محمد بن عثمان السنوسي، 1994م، 100/1-112.

² _محمد بن عثمان السنوسي، المرجع نفسه، 117/1.

³ _علي بن محمد، المرجع نفسه، قطعة رقم 3.

⁴ _محمد محفوظ، 1994م، 51/1.

⁵ _علي بن محمد، المرجع نفسه، قطعة رقم 2.

خلاف المتداولة من بعض أرباب الدولة كالسلطان مصطفى وباشا تونس¹، فلا يبعد أن تكون رسالة الشيخ علي بن محمد من رسائل باشا تونس التي اقتناها، ويدعم ذلك أيضا أنّ عبد الرحمن الجبرتي لم يذكر في «تاريخه» أيّ صلة بين والده وبين أبي الحسن علي باشا، ولو وُجدَ أيّ دليل على تلك العلاقة لكان أدخله في ترجمته، خاصة أنّه لم يترك شاردة ولا واردة عن والده إلّا وذكرها، ومن غير المعقول أن لا يُظهِر تلك العلاقة بين علي باي باشا تونس وبين والده.

ومّا يقوّي هذا الرأي أيضا ما ذكره الشيخ علي بن محمد، حيث قال إنّّه بعدما ألّف رسالته هذه، وانتشرت، وظهرت كظهور النار في القرى، سقطت في يد شيخه إبراهيم الحلبي، فوجد أنّها رسالة متطابقة تطابقا تامّا مع رسالة أخرى، فقال الشيخ علي بن محمد إنّ ذلك يمكن أن يكون من قبيل (وَقَعَ الحَافِرُ عَلَى الحَافِرِ)²، أي من قبيل التوارد، والواقع أنّ ذلك سطو، لأنّ وقع الحافر يكون في الشيء اليسير كبيت أو بيتين، لا في رسالة كاملة متطابقة في المقدمة والمتن والخاتمة تطابقا تامّا.

ثمّ تأتي أيضا فقرة حذفها الشيخ حسن الجبرتي أيضا من مسودته، وفيها التصريح بتأليف رسالة قبل هذه الرسالة في نفس الموضوع حيث جاء فيها: «وقد كنتُ فيما مضى وضعتُ رسالة في خصوص هذا المقام، من غير اطلاع على سؤال ذلك البحر الهمام، إذ قد كان سؤاله منوطا بالإلغاز، الواصل بظاهره إلى رتبة الإعجاز، وحين [...] ، فبادرتُ إلى تعقّل تلك العبارة، فاستعصى فهمها علي، ولم أجد مادة تشير إلى ذلك فيم لدي، فاحتلستُ برهة من الزمان، متوكّلا على الكريم المتّان، وصرفت عنان العناية إلى حلّها، وإن لم أكن من أهلها، فإنّه ما خاب من توكل عليه، وفوّض أمره إليه، وجعلت المثال في صلاة المغرب»³.

¹ _عبد الرحمن الجبرتي، المرجع نفسه، 460/1.

² _علي بن محمد، المرجع نفسه، قطعة رقم 2.

يقصد بـ (وقع الحافر على الحافر): عبارة عن التوارد، وقال ابن الفارض رحمه الله تعالى لرجل سرق قصيدته لما أنشدت له قال: هذا من وقع الحافر على الحافر، فقال الشيخ: وقع الحافر على الحافر من الأوّل إلى الآخر ! (ينظر: الشهاب الخفاجي، 1998م، ص313).

³ _نسخة برنستون، قطعة رقم 2.

والقارئ لهذه الفقرة المشطوبة يجد أنّها مكتوبة أيضا بنفس أسلوب الشيخ علي بن محمد، بل هي موافقة لما ذكره الشيخ علي بن محمد في رسالته التي ذكر فيها أنّه ألّف في هذا الموضوع عدّة مرّات، ويبدو أنّ من بينها ذلك السؤال الذي أورده عليه علي باي باشا في أحد المجالس.

4. خاتمة:

لقد أوردت هذه الورقة مثالا على السرقة العلمية في العهد العثماني، خاصة السرقة التي تكون بين عالّمين متعاصرين، وهذا ما وقع بين الشيخين علي بن محمد الجزائري والشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي المصري، وسواء كانت النتيجة التي خرجتُ بها -أقصد ترجيح تأليف الشيخ علي بن محمد الجزائري للرسالة - صحيحة أم خاطئة، فإنّ الأهمّ هو أنّ السرقة واضحة بغض النظر عن السارق، وتدخل في باب انتحال المؤلّفات وادّعاء التأليف.

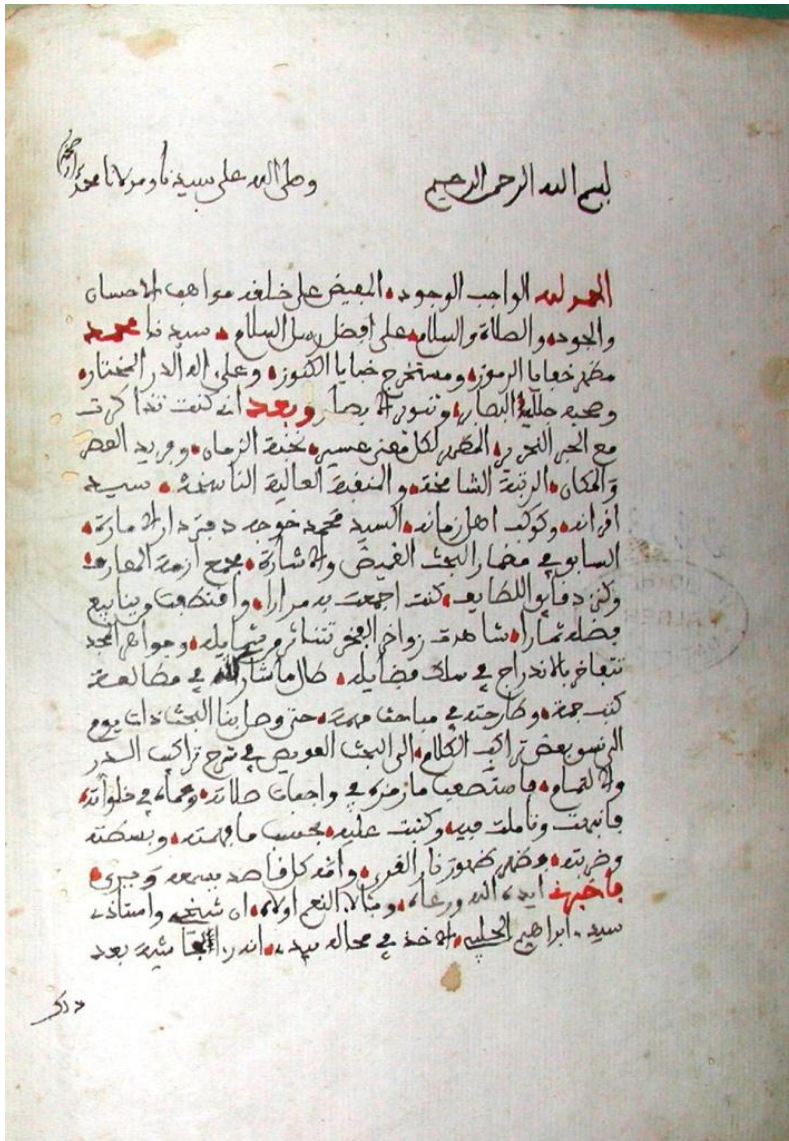
ولعلّ من الأشياء التي قد تستفاد من هذه الورقة، هي أهمّية دراسة المسوّدات المخطوطة، بدراسة المحذوف منها، إمّا بالشطب أو الطمس، وذلك من شأنه إيضاح بعض الأشياء التي قد تفيد الباحث في مجال التأريخ أو التحقيق.

5. قائمة المراجع:

- الشهراني، حسين، 2004م، حقوق الاختراع والتأليف في الفقه الإسلامي، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية.
- السيوطي، جلال الدين، 2012م، البارقي في قطع السارق، إدارة البحوث لدائرة الشؤون الإسلامية، الإمارات.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، 1988م، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، لبنان.
- ابن فارس، أحمد، 1979م، مقاييس اللغة، دار الفكر، لبنان.

- الرصاع، محمد، 1350هـ، الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، دار الكتب العلمية، لبنان.
- ابن الأثير، نصر الدين، 1375هـ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، مطبعة الجمع العلمي.
- بوشیخ، عبد الرحمن، 2020م، السرقة الفكرية والعلمية ومنظورها من الجانب الديني، مجلة أبعاد، الجزائر، المجلد 07، العدد 02، صفحات 329-338.
- الجبرتي، عبد الرحمن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، لبنان.
- الزبيدي، محمد مرتضى، 2006م، المعجم المختص، دار البشائر، لبنان.
- الكتاني، عبد الحی، 1982م، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
- سعد الله، أبو القاسم، 2007م، تاريخ الجزائر الثقافي، نسخة مصورة عن دار الغرب الإسلامي، لبنان.
- الحصكفي، علاء الدين، 2002م، الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، دار الكتب العلمية، لبنان.
- أطلس، أسعد، 1946م، دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها، الجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد 21، الأجزاء 1-2، صفحات 49-60.
- بطي، محمد علي حسين، رسالة إصلاح الأسفار عن وجوه بعض مخدّرات الدرّ المختار، 2017م، مجلة الدراسات التربوية والعلمية، العراق، المجلد 6، العدد 3، صفحات 349-378.
- الجبرتي، رسالة إصلاح الأسفار عن وجوه بعض مخدّرات الدرّ المختار، نسخة بمكتبة برنستون تحت رقم، الولايات المتحدة الأمريكية.

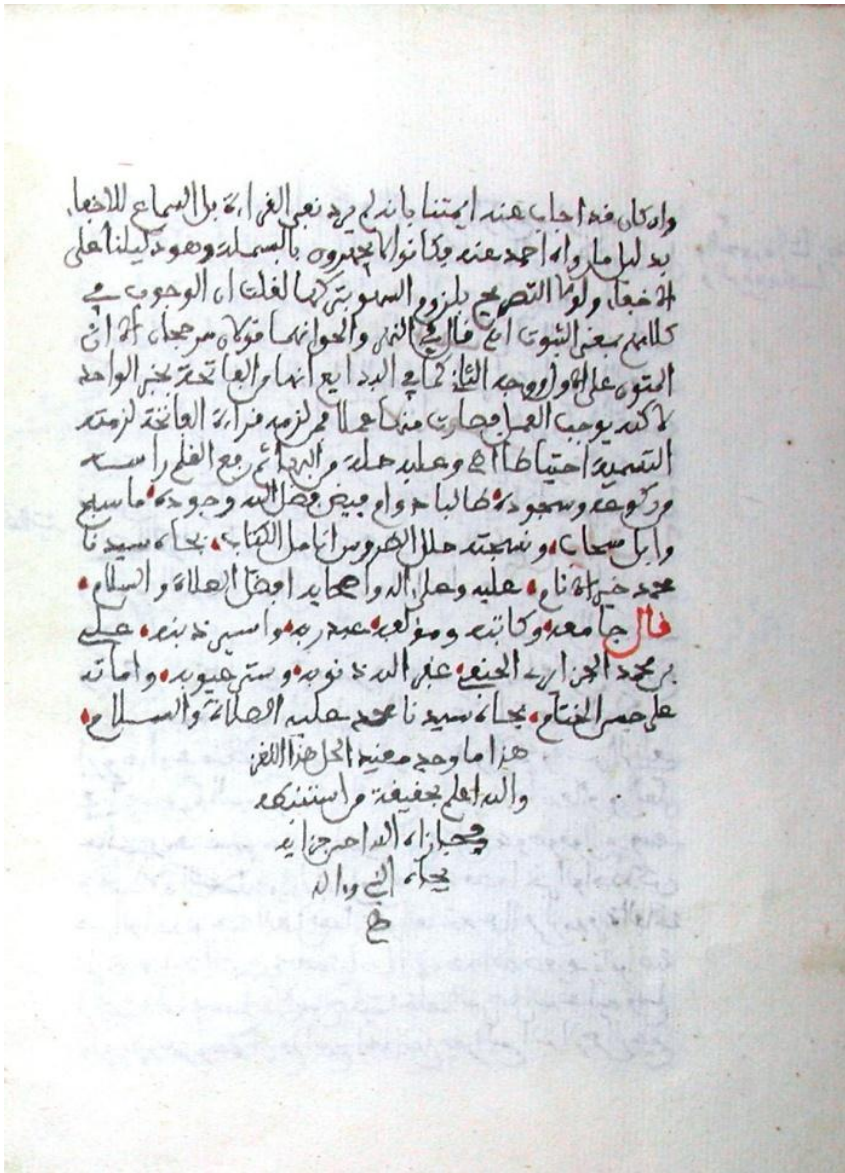
- الجزائري، علي بن محمد، حلّ الذهب الإبريز في بيان لغز الدر الوجيز، نسخة بالمكتبة الوطنية تحت رقم 2233، الجزائر.
- السنوسي، محمد بن عثمان، 1994م، مسامرات الظريف بحسن التعريف، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
- محفوظ، محمد، 1994م، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
- الخفاجي، أحمد، 1998م، كتاب شفاء الغليل فيما من كلام العرب من الدخيل، دار الكتب العلمية، لبنان.



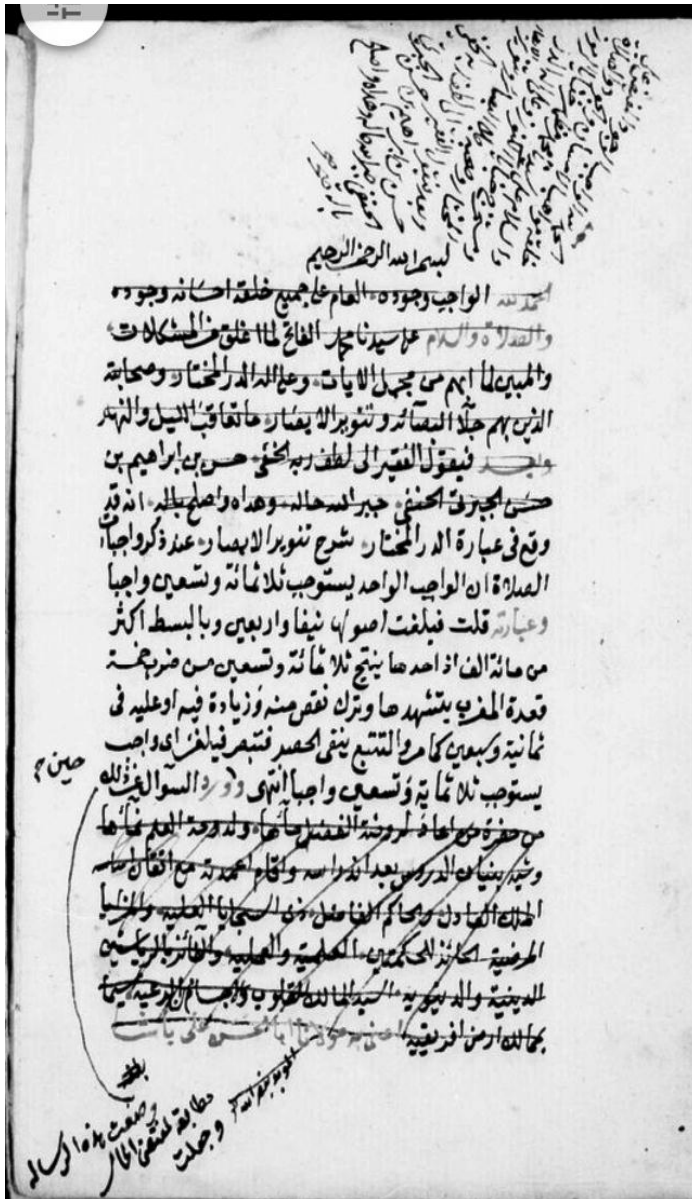
الصفحة الأولى من مخطوط الشيخ علي بن محمد

كامل وليتباع على قيام وفي آية فاتحة وسورة أو ما في حكمها أو مجموع
 وسجدتين واشتغال كل مسأله على أشياء واجبة العمل وأخر واجبة
 التي **باب** في افتتاح السجدة واجب واحد وهو أن يكون طهر في النفس
وأما الفاتحة ففيها ثلاث واجبات في كل ركعة **الأول** في آية الفاتحة
 أن يقرأها الشاذل في افتتاحها في محلها وهو الغمام الذي أوقع فيه تكبيرة
 في افتتاح أو القيام الحاصل بعد سجدة الركعة الأولى ولو لم يكن للافتتاح
 ثم رفع من قام وفي آية الحمد سجدة السهو لا يقرأه الفاتحة في غير محلها
 ولا زيادة الركوع الباطل في الصلاة وكذا الوضوء الثاني في رفع من قام
 وفي آية بركاته أيضا في الصلاة بعد الفاتحة في غير محلها ولا زيادة سجدة
 السهو وكذا الوضوء بدل الركوع فيها فعود الثالث ترك ذكرها
 في آيات الحائض عليه من قائل في غير محلها ولا زيادة سجدة السهو
 في الركعتين سبب واجبات في الفاتحة **وأما** آيات السورة وفيها
 خمس واجبات في كل ركعة **الأول** في آية سورة حقيقته ولو أقر سورة
 كالقوله أو آية كحولية هم بعد ذلك آياتها فصار أو ثلاث آيات فصار
 ولو في بعض سورة أو بعض آيات السورة أو آية فضي تركها يكون
 آياتها بالواجب الشاذل في افتتاح ذلك في قيام الفاتحة من الركعتين الثلاث
 أن يكون ذلك بعد الفاتحة ولو في ذلك قبل الفاتحة يترك سجدة السهو
 بالتمام في السورة قبل الفاتحة ساهدا يترك سجدة السهو
 في غير الفاتحة في آيات ثم سجدة السهو الرابع في افتتاح آيات تمامها
 في قيام الفاتحة ولو في بعضها في الركوع ولو لم يكن آياتها بالواجب
 ولو في بعض آيات السورة أو آية فضي تركها في تمام الفاتحة

فرائد
 من آية كحولية
 أو ثلاث آيات
 فصار الركوع



الصفحة الأخيرة من مخطوط الشيخ علي بن محمد



الصفحة الأولى من مخطوط الشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي

نسخة مكتبة برنستون



الصفحة الثانية من مخطوط الشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي

نسخة مكتبة برنستون

واني بكوني قد اجاب عنه بمش
 يا سيدي لم يردني الزيادة بل السماع
 للاختصاص به بغير زيادة او اضافة
 فكانوا لا يجهلون سماعه بل انهم
 واني بكر وعمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسند الله الرحمن الرحيم
 وهو ليس لنا على الاضحا ولولا التصريح بلزوم السهو بتركها لقلت
 ان الوجوب في كلامهم بمعنى الثبوت انتهى قال في النهروان
 انهم يقولون مرجحان الا ان اطلقوا على الاول وجهه الثاني كما
 في البدائع انها من الفاتحة بخبر الواحد لكنه يوجب العمل ففصارت
 منها على في لزوم قراءة الفاتحة لزومة السجدة احتياطا انتهى
 ثم رفع راسه من ركوعه وسجوده طالباً من فضله وجوده
 نعم الله علينا فحقه الباقى ورواه الوجه ما سمع وابل سحاب
 ونسجت حلال الطروس انا صل الكتاب بحاجه سيده ناصح خير الانام
 عليه وعلى آله وصحبه افضل الصلوة والسلام

الصفحة الأخيرة من مخطوط الشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي
 نسخة مكتبة برنستون